القضية الجزائرية في مؤتمر التضامن الإفريقي الآسيوي بالقاهرة

26 / 12 / 1957 - 01 / 10 / 1958

د . بشير سعدوني
جامعة الجزائر 2
رئيس الفرقة 4 مخبر دراسات إفريقية.

بعد النجاح الذي حققته القضية الجزائرية في مؤتمر باندونغ، وبعد مضي حوالي ثلاث سنوات على ذلك الموعد الهام، تلاقت شعوب آسيا وإفريقيا المستقلة، وغير المستقلة من جديد في القاهرة من 26 ديسمبر 1957 إلى 1 جانفي 1958[1]، فعقدت مؤتمرا ضخما بقاعة المؤتمرات بجامعة القاهرة ضم 500 مندوبًا يمثلون 44 دولة إفريقية وأسيوية، بحضور جبهة التحرير الوطني ممثلة من طرف وفد يرأسه لمين دباغين[2].

و قد أجمعت الوفود، كلها، على التنديد بالاستعمار، والحرب، ودعت إلى تعايش الشعوب كافة في سلام وأمن، وهو ما عبر عنه ممثل مصر السيد/ محمد أنور السادات في الخطاب الافتتاحي حيث قال:

«نحن في مصر نؤمن بالحياد، وعدم الانحياز، وكثير من الأصدقاء في آسيا وإفريقيا يشاركوننا هذا الإيمان، ونحن نؤمن بأننا بهذا الموقف نبعد شبح الحرب، ونضيق الرقعة أمام الكتل المتنازعة، ونوجد منطقة سلام واسعة...»[3].

كما أدانت، هذه الوفود، ما يجري على أرض الجزائر من تقتيل وإهدار لكرامة الإنسانية، وألحت على ضرورة دعم الجزائريين إلى أن يحققوا مبتغاهم في الحرية والاستقلال، حيث قالت رئيسة الوفد الهندي السيدة مشواري نهرو: « إن حق الشعوب في تقرير مصيرها حق طبيعي للجميع، وإن شعبا يتطلع إلى الحرية لا يمكن إبقاؤه تحت السيطرة، لهذا فإننا نطالب السلطات الفرنسية بفض

القضية مع الوطنيين الجزائريين عن طريق المفاوضات، وعلى أساس استقلال الجزائر...»[4].

وقال «راشيدوف» رئيس الوفد السوفياتي:

«... إن الشعب السوفياتي ما انفك يعطف على كفاح الشعب الجزائري، وإننا نلح على وجوب إنهاء الحرب الاستعمارية الدامية بالجزائر...»[5].

نفس الأفكار وردت في كلمات رؤساء وفود الفيتنام، اليابان، أندونيسيا، السنغال وغيرها لكن الذي يهمنا في هذه الدراسة هو خطب المندوبين العرب.

لهذا سنقوم باستعراضها كما يلي:

ألقى ممثل الجزائر السيد لمين دباغين، كلمة، ذكر فيها أن الشعب الجزائري يموت في سبيل الحرية، وينبغي على حلفائه الطبيعيين أن يشعروا بمسؤوليتهم تجاهه، فهناك ملايين الجزائريين يهددهم الموت جراء الجوع، والبرد، والمرض الأمر الذي يحتم على البلدان الإفريقية والأسيوية أن تسارع إلى تقديم العون العاجل لهم.

كما أسهب في وصف حالة المهاجرين الجزائريين، واليتامى، والأرامل، مذكرا الجميع بأنه « يوجد بالجزائر جيش نظامي فرنسي يضم 600 ألف محارب يملكون ويستخدمون الأسلحة المدمرة « وإضافة إلى ذلك، هناك رجال الشرطة والحرس والوحدات الإقليمية، ويبلغ مجموعها أكثر من مليون رجل مجهزين بجميع أنواع العتاد، يساندهم الشعب الفرنسي يبلغ تعداده 42 مليون نسمة بجميع وسائله العسكرية والاقتصادية، راجيا من الحاضرين، ومن الشعوب التي ينتمون إليها، أن يفكروا في هذه الأرقام التي ليس وحدها تعمل على إبادة الشعب الجزائري، بل أنها مدعمة بالحلف الأطلسي، فهي تستخدم طائراته ودباباته وذخائره، ودعمه السياسي، والدبلوماسي، ووسائل دعايته الكبيرة والمتطورة. وختم كلمته بالقول : « إن نضال الجزائريين ليس وقفا عليهم وحدهم، بل هو

نضال كل الشعوب التي تقاسي من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وما يحدث الآن في الجزائر ليس هو بحرب بين الجزائر وفرنسا، بل هو أكثر من ذلك، إنه صراع مرير بين الحرية والإضطهاد»[6].

الظاهر من خلال هذا التدخل المؤثر أن ممثل الجزائر سعى إلى تحقيق عدة أهداف منها إثارة عواطف الأفارقة والأسيويين، وبالتالي دفعهم إلى مزيد من الدعم والمناصرة للقضية الجزائرية، هكذا فضح فرنسا أمام مندوبي أكثر من نصف سكان العالم وإظهارها بمظهر الظالم المعتدي، المعتد بقوته، ومساعدة حلفائه، خاصة أعضاء الحلف الأطلسي.

رئيس الوفد التونسي السيد/ علال البلهوان عالج القضية الجزائرية، خلال تدخله، من عدة نواحي، مبينًا بالخصوص الترابط المتين بين القضية الجزائرية وقضايا جيرانها، تونس والمغرب قائلاً: «لو شبهنا قضية الجزائر في إفريقيا لشبهناها بقضية الهند بآسيا، فلما استقلت الهند استقلت شعوب أسيا كلها تقريبًا، اندونيسيا، سيلان، بورما، الباكيستان، الفيتنام، فاستقلال الجزائر سيكون الضربة القاضية للاستعمار في إفريقيا كلها...»[7].

وواصل كلمته مندداً بالسياسة الفرنسية المنتهجة في الجزائر، معتبرًا أن الاستعمار يعد من الخطر الأكبر على العالم بأسره، مستشهدًا، على صحة قوله، بما يحدث في الجزائر، وخلص في النهاية إلى أنه ما لم تحل القضية الجزائرية، فالاستعمار سيظل قائمًا في إفريقيا وغيرها، كما أن العدوان على الشعوب الآمنة لن يتوقف قائلاً : «إن عدوان القوات الاستعمارية الفرنسية والانجليزية والإسرائيلية على مصر الشقيقة كان نتيجة لحرب الجزائر»[8].

يتضح من هذه الكلمة أن التونسيين يدركون خطورة الوجود الفرنسي بالجزائر، لا على الجزائريين فحسب، بل وأيضًا، على بلادهم المهددة بعودة الغزو، أو على الأقل الاعتداء جراء قربها من الجزائر، والوجود العسكري

المكثف في هذه الأخيرة، وهو ما حدث فعلاً، ففي 08 فيفري 1958 قامت القوات الفرنسية بالاعتداء على قرية ساقية سيدي يوسف الآمنة، فأحدثت فيها قتلاً ودمارًا، وقد كانت جبهة التحرير الوطني قد أكدت مرارًا أن استقلال بلدان شمال إفريقيا يبقى ناقصًا ومبتورًا، ومعرضًا للإلغاء، في أي لحظة، مادامت الجزائر لم تنل استقلالها من ذلك قولها: «كيف يمكن أن نتصور وجود استقلال حقيقي في المغرب وتونس فيما تواصل فرنسا في الجزائر أبشع الحروب الاستعمارية، وأشدها وحشية، وأكثرها فضاعة»[9].

رئيس الوفد السوري تدخل بكلمة استعرض فيها مراحل القضية الجزائرية، وسياسة فرنسا المنتهجة ضد الجزائريين منبهًا إلى « أن عرب الجزائر يواجهون اليوم أفضع أشكال الاستعمار، ويتعرضون لحرب إبادة»[10].

فالفرنسيون، كما ذكر المندوب السوري، لا يكتفون بقتل النساء والأطفال والشيوخ والمدنيين العزل، بل تجاوزوا ذلك بالسعي الحثيث للقضاء على شخصية الشعب الجزائري العربية، بمحاولة طمس اللغة والدين والوطنية وغيرها من المقومات، مشددًا على أن الوطنية الجزائرية أقوى من أن ينال منها المستعمر، واصفًا أعمال هذا الأخير بالفظاعة التي أثارت الضمير العربي، ومشاعر الشعوب الإفريقية والآسيوية، واختتم كلمته بالقول « لقد برهنت الثورة الجزائرية للعالم بأن الوطنية الحقة تجتمع مع أنبل العواطف الإنسانية للتنديد بالطمع الاستعماري، وتأييد الكفاح من أجل الحق ومن أجل الحرية»[11].

لقد جاءت كلمة المندوب السوري جادة، ومعبرة، لأن السوريين يدركون جيدًا ممارسات فرنسا وأهدافها ومراوغاتها، وخططها الاستعمارية ماداموا قد عانوا من اتفاقية سايكس – بيكو 1916 [12]، ومحاولة فرنسا فرض الانتداب على بلادهم خلال مؤتمر سان ريمو 1920[13] ومجازرها البشعة في بلادهم.

كان أيضا، لرئيس الوفد المغربي تدخل عارض فيه سياسة التكتلات والأحلاف المنتهجة في العالم، وأعلن أن المغاربة لا يضمرون عداء لأي شعب من الشعوب، ولا يساعدون عن العدوان، لأنهم يريدون أن يكونوا أحرارا مستقلين ووسيلة خير وأمن وسلم بين جميع الشعوب.

هذا المتدخل لم ينس القضية الجزائرية الملتهبة على حدود بلاده الشرقية بل سعى لإبراز عدالتها، وخطورة تمادي فرنسا في التنكر لحقوق الشعب الجزائري العادلة، التي أقرتها الشرائع السماوية والقوانين الدولية[14] أما رئيس الوفد العراقي، فقد اغتنم فرصة هذا اللقاء وألقى خطابا دافع فيه عن الحركات التحررية في أي مكان معتبرا إياها مظهرا من مظاهر الوعي الذي أخذ يقوى بين شعوب إفريقيا وآسيا، الأمر الذي جعلها تدرك حقوقها الطبيعية فتصمم على نيل حريتها واستقلالها لتعيش في رخاء وسلام .

كما أسهب في الحديث عن حلف بغداد الذي فرضته حكومة نوري السعيد على الشعب العراقي دون رضاه، معددًا مساوئ هذا الحلف الذي خنق أصوات الشعب العراقي، وأهدر حريته، وعطل أحزابه، وسعى إلى عزل العراق عن أشقائه العرب، وعن تيار الحركات التحررية في إفريقيا وأسيا، لكن العراقيين صمموا على مقاوماته والقضاء عليه[15].

إن ما يلاحظ أن ممثل العراق لم يتعرض، في خطابه، للجزائر بالذكر المباشر، رغم أن جلّ المتدخلين تناولوا موضوعها كموضوع أساسي في خطبهم، قد يفسر ذلك على أنه اعتبرها حركة تحررية وطنية، وربما يعنيها هي بالذات حين أسهب في الحديث عن حركات التحرر الوطنية، وضرورة نصرتها، ودعمها، وقد يكون اغتنم هذا اللقاء الضخم ليثير مشاكل شعبه مع العدو وحلفائه من الحكام المرتبطين به، فألهاه ذلك عن التطرق لموضوع الجزائر.

رئيس الوفد الأردني[16]، قال في خطابه، بأننا في الأردن ذاك الجزء الصغير من الوطن العربي الكبير ناضلنا ضد الاستعمار والعملاء والرجعية، وقدمنا الكثير من الشهداء، شأننا في ذلك شأن أي شعب مكافح حتى حققنا بمعونة قوميتنا العربية، وروح باندونغ ومبادئه، وبمؤازرة قوى الحرية في العالم حريتنا وسيادتنا، وتخلصنا من النفوذ البريطاني، وأقمنا دولة تؤمن بالتحرر، والحياد والتعايش السلمي، وتعمل من أجل الأهداف الشريفة، أهداف التضامن الأسيوي-الإفريقي.

كما عرج في كلمته فتحدث عن مشروع إيزنهاور الذي فرض على الشعب الأردني عنوة لكننا سنتخلص منه، كما تخلصنا من قبل من الاستعمار، كما قال، وختم كلمته بالقول: «إننا نؤمن بأن حريتنا جزءٌ من حريتكم، وأن معركتنا مع الاستعمار جزء من معركة الشعوب، وأن السلام والعمل من أجل السلام هما السبيل الصحيح لكسب هذه المعركة وهما الصخرة التي سيتحطم عليها الاستعمار، وترتفع فوقها شعلة الحرية[17].

يلاحظ مما سبق أن الوفد الأردني، رغم كونه يتكون من شخصيات وأحزاب وطنية تؤمن بالحرية وتدافع عنها، وقد ذاقت مرارة الاضطهاد والتعسف الاستعماري والنظام المفروض من قبله، إلاّ أنه لم يتعرض للقضية الجزائرية التي عدت، ساعتها، قضية محورية، ذات أولوية، وأهمية خاصة وهذا شيء يثير الاستغراب ولا أجد له مبررا منطقيا مقبولا.

رئيس وفد الصومال أكد أن بلاده جزء من المجموعة الأسيوية الإفريقية، وهو في خدمة أهداف هذه المجموعة، بعدها تطرق، بشيء من التفصيل، لكفاح الشعب الصومالي المرير، وتضحياته ومآسيه، مبيننا أن الطريق إلى الاستقلال ليس بالأمر الهين.

أما بالنسبة للقضية الجزائرية فقد خصص لها حيزا هامًا من كلمته، بدأها بالتعبير عن انتماء الصومال للأمة العربية والإسلامية، حيث قال: «بأنه عضو في الأسرة

الآسيوية والإفريقية، وبالتـالي في الأسرة الإنسانية ولذلك نؤيد بكل ما نستطيع الحركات التحررية لشعوب آسيا وإفريقيا وخاصة قضايا الجزائر الحرة[18].

أي أن الصوماليين رغم المعاناة التي يكابدونها، والاستعمار الجاثم على أراضيهم وحاجتهم الملحة إلى الدعم والمناصرة، فإنهم لم ينسوا شعب الجزائر الجريح، وقضيته العادلة، فأعلنوا عن مساندتهم لها وتعاطفهم معها .

يبدو أن المواقف والتصريحات العربية، وكذا النشاط الذي قام به العرب، قبل وأثناء انعقاد المؤتمر، إضافة إلى مساعي جبهة التحرير الوطني المكثفة، كل ذلك أثمر نتيجة جاءت في صالح القضية الجزائرية، تمثلت في القرارات الداعمة لها سياسيا وماديا، حيث نددت بقوة بسياسة فرنسا ومراوغتها[19] وهو ما أدّى بالصحف العربية عامة، وصحيفة المجاهد خاصة إلى التنويه بها حيث تقول :

« لقد كان مؤتمر القاهرة، فرصة من تلك الفرص التي لا تتوفر إلا مرة أو مرتين في تاريخ الشعوب المستضعفة»[20].

وفي مقال آخر قالت:

«إن الشعب الجزائري، لم يعد وحده في ميدان المعركة، إن التضامن الذي لقيه حتى الآن من الشعوب الآسيوية والإفريقية سيزداد في الأيام والشهور القادمة بروزا وقوة[21] وهو ما حدا بهذه الجريدة إلى التأكيد بأن استقلال الجزائر مؤكد التحقيق رغم قوة الاستعمار ومؤيديه[22].

وهكذا يتضح أن مؤتمر القاهرة نصر مبين بحق القضية الجزائرية، خاصة وأنه جعل الأفارقة والآسيويين يتفقون على تخصيص يوم 30 مارس 1958 كيوم تضامني مع الجزائر.

وقد اعترفت الصحف الفرنسية بكونه نكسة لفرنسا، ودعمًا للجزائر حيث كتبت صحيفة (لوبسيرفاتور) L'Observateur قائلة: »إن هذا التأييد يشكل ضربة قاسمة للمستعمرين الفرنسيين»[23].

هوامش المقال

(1) – المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الدبلوماسية الجزائرية من 1830 إلى 1962، مطبعة دار هومة 1998 ص 145.

(2) – المجاهد، ع 19 (1 مارس 1958).

(3) – صبري أبو المجد، الثورة الجزائرية والقانون، دار اليقظة العربية، تونس 1961 ص 64.

(4) – جبهة التحرير الوطني، كفاح الشعب الجزائري جزء من كفاح الشعوب الإفريقية الأسيوية في سبيل الحرية والاستقلال، مطبوعات المجاهد،(د،ت) ص 15.

(5) – للإطلاع على خطب رؤساء الوفود المذكورين أنظر جبهة التحرير الوطني، كفاح الشعب الجزائري، جزء من كفاح الشعوب الإفريقية الأسيوية في سبيل الحرية والاستقلال، مطبوعات المجاهد، الجزائر (د ـ ت)، ص 10–17.

(6)– صبري أبو المجد، مصدر سابق، ص ص 70–71، كذلك جبهة التحرير الوطني كفاح الشعب الجزائري، مصدر سابق، ص ص 10–11.

(7) – جبهة التحرير الوطني، كفاح الشعب الجزائري، مصدر سابق ص 14 .

(8)– نفسه.

(9) – نفسه، ص 05 .

(10) – نفسه، ص 16.

(11) – نفسه.

(12) – اتفاقية سايكس–بيكو هي اتفاقية سرية وقعت سنة 1916 بين سترمارك سايكس مندوب بريطانيا وجورج بيكو مندوب فرنسا تم خلالها تقسيم سوريا الكبرى إلى مناطق نفوذ بريطانية فرنسية . يوسف الحكيم سوريا والعهد الفيصلي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1966، ص 22.

(13) – انعقد مؤتمر سان ريمو سنة 1920 بمشاركة فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وقد اتخذ عدة قرارات منها وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، وقد أثار ذلك، لدى السوريين واللبنانيين خاصة والعرب عامة شعورا بالغضب والكراهية للدول الغربية الاستعمارية، وأدى إلى بروز المقاومة السورية بقيادة يوسف العظمة.يوسف خليل يوسف، تاريخ العرب الحديث والمعاصر مكتبة غريب، القاهرة (د – ت)، ص 174.

(14)- صبري أبو المجد، مصدر سابق، ص74.

(15)- نفسه، ص 71.

(16) - قال رئيس الوفد الأردني « إن وفدنا في المؤتمر بجميع أعضائه، وزراء وأقطاب العهد الوطني، وممثلي الأحزاب والنقابات والهيئات الشعبية من المطاردين الذين نزعت عنهم صفاتهم التمثيلية من قبل الحكم القائم في بلادهم الآن « نفس المصدر، ص 73.

(17) - نفسه، ص 72-74.

(18) - نفسه، ص 74-76.

(19) - نص اللائحة الخاصة بالجزائر التي صدرت عن مؤتمر التضامن الإفريقي الأسيوي المنعقد بالقاهرة من 26/ 12/ 1957 إلى 1/ 1/ 1958 « نظرا لشرعية الشعب الجزائري في استقلاله وسيادته الوطنية، ونظرا إلى أن الحكومات الفرنسية المتوالية، تطبق في الجزائر حربا استعمارية حقيقية، الغرض منها إبادة الشعب الجزائري نظرا إلى أن هذه الحرب أثارت من شدة هولها، وفضا عتها، استنكار قسم هام من الرأي العام الفرنسي، ونظرا إلى أن هذه الحرب تتسبب في أحداث خسائر مادية وبشارية هائلة، وفي إخراج مئات الآلاف من الجزائريين من وطنهم إلى تونس والمغرب، زيادة على العدد الكبير من الجزائريين الذين يستوجب حالتهم إعانة مادية مستعجلة. ونظرا إلى امتناع فرنسا، امتناعا كليا من الدخول في مفاوضات جدية، وخاصة رفضها عرض الوساطة التونسية المغربية، وذلك بالرغم من توصيات الأمم المتحدة، ونظرا إلى أن هذه الحرب المسلطة على الشعب الجزائري تشكل تهديدا لأمن الشعوب الإفريقية وللسلام العالمي. نظرا لهذه الأسباب كلها، فإن مؤتمر تضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية المنعقد في القاهرة.

ينند بالحرب الاستعمارية، وبالتعذيبات المسلطة من طرف القوات الاستعمارية على الشعب الجزائري الذي يناضل من أجل استقلاله.

يؤكد تأييده للكفاح المجيد الذي يقوم به الشعب الجزائري.

يطالب بتسريح القادة الخمسة، وجميع الوطنين الجزائريين الموقوفين في السجون والمحتشدات.

يحتم المؤتمر: بأن يعترف فورا باستقلال الشعب الجزائري، وبأن تفتح عاجلا مفاوضات على أساس هذا الاستقلال بين الحكومة الفرنسية وجبهة التحرير الوطني التي تمثل الشعب الجزائري.

و يستنكر المؤتمر تجنيد الأفارقة في الجيش الفرنسي، الذي يحارب في الجزائر، ويوجه لهذا الغرض نداء إلى الأفارقة ليرفضوا محاربة إخوانهم .

و يطلب المؤتمر من جميع شعوب العالم، وخاصة من شعوب إفريقيا وآسيا أن تنظم الحملات الصحفية والمظاهرات، وجميع الإمكانيات الأخرى لتجنيد الرأي العام، والتنديد بحرب الإبادة في الجزائر، والعمل على وضع حد لهذه الإبادة، وحمل فرنسا على احترام حقوق الإنسان، واتفاقية جنيف المتعلقة بالقوانين الحربية.

و على هذا الأساس، فإن المؤتمر يوصي:

بأن يكون 30 مارس 1958 يوم التضامن مع الجزائر، في كامل آسيا، وإفريقيا، وذلك بتنظيم المظاهرات، وإقامة الاجتماعات، والحفلات العامة وجمع الأموال..الخ.

و بأن تتشكل في جميع الأقطار لجان لتحرير الجزائر، كما يوجه المؤتمر نداء إلى كل شعب آسيوي إفريقي لمد الشعب الجزائري بالأموال والألبسة والأدوية والمواد الغذائية، وبجميع المساعدات المادية.

و يطالب المؤتمر الشعوب الآسيوية والإفريقية بمد اللاجئين الجزائريين في تونس والمغرب بمساعدة عاجلة .

يوجه المؤتمر نداء إلى جميع الحكومات، وخاصة إلى حكومات آسيا وإفريقيا بأن تدافع عن قضية الجزائر أمام الهيئات العالمية، وبأن تستعمل جميع الوسائل المناسبة لحمل الحكومة الفرنسية على إنهاء الحرب في الجزائر. وبأن تجد الطرق الناجعة لحمل الحكومات التي تعين فرنسا في حربها على أن تكف عن هذه الإعانة.

جبهة التحرير الوطني، كفاح الشعب الجزائري، مصدر سابق، ص 19.

(20) – المجاهد، ع 19(1 مارس 1958).

(21) – نفسه.

(22) – نفسه .

(23) – نفسه.